المحاضرة السابعة
وظائف اللغة

تمهيد:

إن أهمية اللغة في حياة الفرد البشري كوسيلة تواصلية لا تضاهى من أي شكل من أشكال التواصل مهما تطور. كما أنها الخاصية الإنسانية التي تتفرد به المجتمعات الإنسانية من دون النظر إلى درجة تقدمها، أو تخلفها، أو غناها أو فقرها، بل من السذاجة أن نتصور مجتمعا بلا لغة كما أنه لا توجد لغة من غير مجتمع، فالإنسان واللغة متلازمان.

إن أيّ متلق للتركيب اللغوي: "وظائف اللغة". يتبادر إلى ذهنه السؤال التالي: ماذا تقدمه اللغة للمتكلم المستمع من خلال عملية التخاطب التي يقوم بها في الحدث التواصلي؟ وما الهدف المحقق عن طريق اللغة في الحدث الكلامي؟

إن تحديد الوظائف اللغوية في اختلاف بين الدارسين بالنظر إلى اختلاف توجهاتهم حيث اعتبرها أرسطو مرآة للفكر واعتبرها الدرس الفلسفي ككل نقلا للوقائع. فحين رفض السلوكيون إعطاءها أية وظيفة واعتبروها سلوكا كباقي السلوكات.[1] وسنحاول في هذه المحاضرة التطرق إلى أراء جاكبسون وهاليداي.

أولا- رومان جاكبسونR. Jakobson **:** يُعد من أبرز اللّسانيين الذين أثروا هذا الموضوع مُرجِعاً كل وظيفة إلى عامل من عوامل التواصل مع العلم أنه استفاد مما توصل إليه مهندسو الإعلام والاتصال في توضيحهم لدورة التخاطب وهذه الوظائف هي:

1- الوظيفة التعبيرية(La fonction experssive)**:** وتعرف كذلك بالوظيفة الانفعالية "Emotive" وهي خاصة بالمرسل "Destinateur"؛لأن هدفها التعبير عن موقف المتكلم وعمّا يجول في خاطره، أو بخصوص الموضوع المتحدث عنه؛ أي أنه يبرز انفعاله ولا يهم إن كان ما يقوله صادقا أو كاذبا.[2]

وعليه فمعيار الصدق والكذب ليس مهما في الوظيفة الانفعالية التي تكون إما شخصية؛ أي نتاج الذات المتكلمة، وإما بسبب أمر واقعي من محيط المرسل، أو من خياله إن كان الخطاب شعرا لأن " الشعر في جميع الأحوال كذب، والشاعر الذي لا يقدم الكذب دون تردُّد بدءا من الكلمة الأولى لا قيمة له".[3]

والانفعالية تتمظهر عبر أدوات تركيبية خاصة يتصدرها التعجب"L'interjection" وضمير المتكلم أنا (Je) حسب ما ذهب إليه دنيال دولاس "Daniel Delas" وجاك فيليولي "JacquesFiliolet".[4]

2- الوظيفةالإفهامية (cognitiveLa fonction): وتسمى كذلك بالخطابية وهي تأثيرية"Impressive". وتتعلق بالمرسل إليه "Destinataire" وفيما يلي أهم مميزات الخطاب الإفهامي.

2-1- التأثير: إن كل منشئ لخطاب يسعى بطريقة أو بأخرى التأثير في المتلقي كما أن التأثير صلب العملية التواصلية وفي سبيل ذلك يعتمد على عنصرين هما:

2-1-1- المفاجأة: فبالمفاجأة يجعل المرسل الخطاب ينبض بالحياة ويجعل المتلقي يركز على ما سيقوله اللاحق بلهفة كونها "تولِّدُ المنتظر من غير المنتظر".[5]

2-1-2- التّشبع: إن التشبع في الخطاب يولِّده التكرار كظاهرة لغوية حيث تعمل على إشباع المتلقي وجعله غير متحمس لما سيتلقاه، لهذا على المرسل عند إعداده ونسجه للخطاب وضع هذه الظاهرة اللغوية في حسابه على مستوى محور الاختيار، ليخرج منتوجه في بنيته المادية في الصورة التي يؤثر بها في المتلقي أكثر.

2-2- الإقناع: حتى يقنع المرسل متلقيه لابدّ من إدراج الوسائل والآليات اللغوية، والحجج والبراهين والأدلة التي لا تترك مجال التخلي عمّا هو موجود في النص من

([1])- ينظر: مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، تاريخها طبيعتها،موضوعها، مفاهيمها، ص 81.

([2])- ينظر: رومان جاكبسون قضايا الشعرية، تح: محمد الوالي و مبارك حنوز، ط1، 1988، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ص 28.

([3])- م ن، ص28.

([4])- الطاهر بوزمبر، التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون، منشورات الاختلاف، ط1، 2007، الجزائر،ص 38.

([5])- رومان جاكبسون، محاولة في اللسانيات العامة، ص288 .

أفكار. فالإقناع متعلق بمحتوى النص ويكون أكثر مع النصوص ذات الأنماط الحجاجية.

2-3- الإمتاع: على عكس الخاصية السابقة التي تعتمد على العقل والمنطق والدليل ،للوصول بالمتلقي إلى الأخذ بما هو موجود في النص بعد الاقتناع، فإن في الرسالة الامتاعية عكس ذلك يطغى الجانب العاطفي الوجداني لهز المشاعر ودفع النفس المتلقية إلى الشعور باللّذة والارتياح.

3- الوظيفة الانتباهية(phatiqueLa fonction):وتسمى كذلك بالتوصيلية وهي متعلقة بالقناة"Canal". إن هذه الوظيفة لا تحمل قيما إخبارية للمرسل إليه، فحضورها لأجل المحافظة على سلامة جهاز التواصل والعمل على إبقاء المرسل إليه في حالة تواصل مع المرسل لذلك نجد المرسل يكثر من تعابير لفت الانتباه مثل: هل أنت معي، أفهمت؟ ركِّزْ معي. نعم ...

4- الوظيفة المرجعية (RéférentielleLa fonction): هذه الوظيفة تتعلق بالسياق "Contexte" بما أن اللغة في أغلب الآراء اصطلاحية، فهي بهذه الخاصية اختزال للواقع الأشياء. فالوظيفة المرجعية تكون في الرسائل التي يكون محتواها يحيل إلى ما هو خارج اللغة، ويتمحور حول مختلف الأحداث الخارجية "باعتبار أن اللغة فيها تحيلنا على أشياء وموجودات نتحدث عنها وتقوم اللغة فيها بوظيفة الرمز إلى تلك الموجودات والأحداث المبلِّغة". (6)

5- الوظيفة ما وراء اللغة أو اللّسانية (métalinguistiqueLa fonction): وهي متعلقة بالسّنن "Code". إذا كانت الوظيفة المرجعية وجدت للكلام عن الأشياء فالوظيفة اللسانية وجدت للكلام عن اللغة نفسها فهي تسعى لوصف النظام اللغوي في جميع مستوياته (الصوت، الصرف، النحو، الدلالة ، التداول). ويندرج تحت هذه الوظيفة كل التحقيقات التي يقوم بها علماء اللغة حول القضايا اللغوية المتعلقة بالنحو أو الصرف، الو المعجم وغيرها في لغة من اللغات. وتهيمن هذه الوظيفة على الرسائل التلعيمية وبالخصوص في مرحلة اكتساب اللغة. "لأنها تلجأ بكثرة إلى هذه العمليات الميتا لسانية". (7)

6- الوظيفة الشعرية(poétiqueLa fonction): وهي متعلقة بالرسالة "Message" مع العلم أن هذه الوظيفة لا تخص الشعر فحسب، بل تتعداه إلى كل النصوص إلا أنها في الشعر أظهر لهذا يعرِّف جاكبسون الشعريات: بأنها الدراسة اللّسانية للوظيفة الشعرية في سياق الرسائل اللفظية عموما، وفي الشعر على وجه الخصوص.(8)

فالتركيز على هذه الوظيفة في الشعر جان بالنظر إلى توفره على الجانب الجمالي من اللغة والمتمثل في: التصوير الفني، الموسيقى الشعرية، كثرة المحسنات البديعية...

وفيما يلي نوضح في مخطط تشارك الوظائف اللغوية مع العوامل التّخاطبية في كل مرسلة لغوية.

---

(6)- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، 159.

(7)- رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، ص31.

(8)- ينظر:م ن ، ص 78.

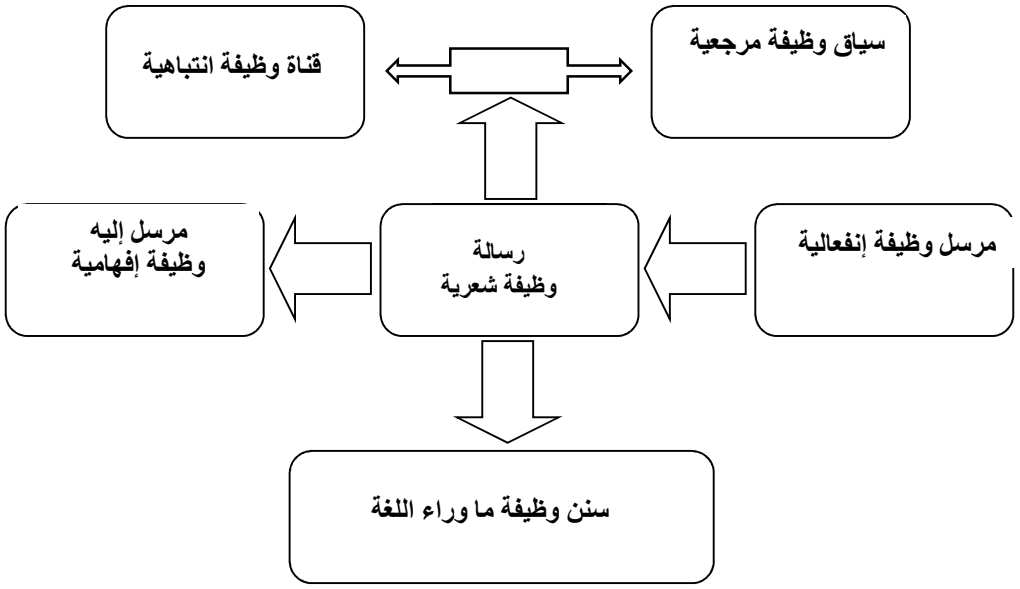

ثانيا ـ الوظائف اللغوية عند هاليداي:

1- الوظيفة النفعية (الوسيلة): ويسميها: أنا أريد. فاللغة هي التي تسمح للأفراد التعبير عن رغباتهم لإشباعها منذ أن يعرفوا استخدامها.

2- الوظيفة التنظيمية: وملخصها "افعل ولا تفعل" ومفادها توجيه الأفراد في سلوكاتهم لأجل تنظيم أمور حياتهم بما يتوافق ضرورات مجتمعهم.

3- الوظيفة التفاعلية: "أنا وأنت" ومعناها أنها تقوم ببناء فعل المشاركة بين الأفراد وجعلهم يتعايشون مع بعضهم البعض بتبادل كل ما يحتاجون إليه أخذا وعطاء، قولا وفعلا.

4- الوظيفة الشخصية: "أنا أرى ". حيث تسمح له اللغة إبداء رأيه تجاه أي شيء يخصه أو يخص غيره.

5- الوظيفة الاستكشافية: أنا أستفهم. من بين أهم الغرائز التي تحكم الإنسان وخاصة العالم غريزة حُبِّ الاطلاع والاستكشاف في كل الآيات الكونية. ولا يتأتى هذا إلا بالشّك الذي يليه البحث. فاللغة تحل المشاكل.

6- الوظيفة التخيلية: الإنسان يحتاج للترويح عن نفسه لهذا يلجأ إلى اللغة التي تسمح له أن ينسج كل ما يراه عاملا ترفيهيا؛ من غناء وأشعار وقصص خيالية إلى غير ذلك من الأشياء التي تبعث في النفس الشعور بالراحة والفرح بعد الجد. فهي الممتعة المؤنسة.

7- الوظيفة الإخبارية: لتعلم. فباللغة يستطيع الإنسان نقل معارفه ومعارف غيره للآخرين لأجل الاستفادة من هذه الخبرات في مختلف بقاع الأرض.[9]

وخير ما نختم به درسنا ما ذهب إليه شار بالي حين أكد بأن: "اللغة التي نتكلَّمها جميعا ليست في خدمة العقل الخالص، ولا في خدمة الفن. إنها لا تهدف إلى مثال منطقي أو

([9])- ينظر: جمعة السيد يوسف، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، سلسلة عالم المعرفة، ع 145، 1990، ص 22، 23.

مثال أدبي. إن وظيفتها الأساسية ليس بناء القياسات المنطقية أو الخضوع للأوزان والتفعيلات الشعرية، إنها ببساطة في خدمة الحياة الاجتماعية لا حياة الأفراد وإنما حياة المجتمع". **(10)**

(10) - مصطفى غلفان، اللسانيات العامة، مرجع سابق، ص 81.